@ 97 @ ذكر أشياء ثم قال أهل الكتاب { يَعْرِفُونَهُ } أي يعرفون ما قلنا وما قصصنا . وقيل : يعود على كتابهم أي : يعرفون كتابهم وفيه ذكر نبوة محمد صلى ا عليه وسلم) . وقيل : يعود على الدين والرسول فالمعنى يعرفون الإسلام أنه دين ا وأن محمد رسول ا و { الَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } هنا لفظه علم ويراد به الخاص ، فإن هذا لا يعرفه ولا يقربه إلا من آمن منهم أو من أنصف و { الْكِتَابِ } التوراة والإنجيل ووحد رداً إلى الجنس . وقيل : { الْكِتَابِ } هنا القرآن والضمير في { يَعْرِفُونَهُ } عائد عليه ذكره الماوردي . وقال أبو عبد ا الرازي ما ملخصه : إن كان المكتوب في التوراة والإنجيل خروج نبي في آخر الزمان فقط ، فلا يتعين أن يكون هو محمداً صلى ا عليه وسلم) أو معيناً زمانه ومكانه ونسبه وحليته وشكله ، فيكونون إذ ذاك عالمين به بالضرورة ولا يجوز الكذب على الجمع العظيم ولأنا نعلم بالضرورة أن كتابهم لم يشتمل على هذه التفاصيل التامة وعلى هذين التقديرين ، فكيف يصح أن يقال : { يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ } ، وأجاب بأنهم كانوا أهلاً للنظر والاستدلال وكانوا شاهدوا ظهور المعجزات على يد الرسول فعرفوا بالمعجزات كونه رسولاً من عند ا ، فالمقصود تشبيه معرفته بمعرفة أبنائهم بهذا القدر الذي ذكرناه ؛ انتهى . ولا يلزم ذلك التقسيم الذي ذكره لأنه لم يقل يعرفونه بالتوراة والإنجيل إنما ذكر { يَعْرِفُونَهُ } فجاز أن تكون هذه المعرفة مسندة إلى التوراة والإنجيل من أخبار أنبيائهم ونصوصهم ، فالتفاصيل عندهم من ذلك لا من التوراة والإنجيل فيكون معرفتهم إياه مفصلة واضحة بالأخبار لا بالنظر في المعجزات { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ } وأيضاً فلا نسلم له حصر التقسيم فيما ذكره لأنه يحتمل قسماً آخر وهو أن يكون التوراة والإنجيل يدلان على خروج نبي في آخر الزمان ، وعلى بعض أوصافه لا على جميع الأوصاف التي ذكرت من تعيين زمان ومكان وننسب وحلية وشكل ، ويدل على هذا القسم حديث عمر مع عبد ا بن سلام وقوله له : إن ا أنزل على نبيه بمكة إنكم تعرفونه كما تعرفون أبناءكم فكيف هذه المعرفة ؟ فقال عبد ا بن سلام : نعم أعرفه بالصفة التي وصفه ا بها في التوراة ؟ فلا أشك فيه وأما ابني فلا أدري ما أحدثت أمه ، ومما يدل أيضاً على أن معرفتهم إياه لا يتعين أن يكون مستندها التوراة والإنجيل فقط ، أسئلة عبد ا بن سلام حين اجتمع أول اجتماعه برسول ا صلى ا عليه وسلم) ما أول ما يأكل أهل الجنة ؟ فحين أخبره بجواب تلك الأسئلة أسلم للوقت وعرف أنه الرسول الذي نبه عليه في التوراة ، وحديث زيد بن سعنة حين ذكر أنه عرف جميع أوصافه صلى ا عليه وسلم) غير أنه لم يعرف أن

حلمه يسبق غضبه فجرب ذلك منه ، فوجد هذه الصفة فأسلم وأعرب { الَّذِينَ خَسِرُواْ } مبتدأ والخبر { فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } و { الَّذِينَ خَسِرُواْ } على هذا أعم من أهل الكتاب الجاحدين ومن المشركين ، والخسران الغبن وروي أن لكل عبد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار ، فالمؤمنون ينزلون منازل أهل الكفر في الجنة والكافرون ينزلون منازل أهل الجنة في النار ، فالخسارة والربح هنا وجوزوا أن يكون { الَّذِينَ خَسِرُواْ } نعتاً لقوله : { الَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } و { فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } جملة معطوفة على جملة فيكون مساق { الَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } مساق الذم لا مقام الاستشهاد بهم على كفار قريش وغيرهم من العرب ، قالوا : لأنه لا يصح أن يستشهد بهم ويذموا في آية واحدة . وقال ابن عطية : يصح ذلك لاختلاف ما استشهد فيه بهم وما ذموا فيه وأن الذم والاستشهاد من جهة واحدة ؛ انتهى . ويكون { الَّذِينَ خَسِرُواْ } إذ ذاك ليس عاماً إذ التقدير الذين خسروا أنفسهم منهم أي من أهل الكتاب . .

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِئَايَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } تقدم الكلام على { وَمَنْ أَظْلَمُ } والافتراء الاختلاف ، والمعنى لا أحد أظلم ممن كذب على ا أو كذب بآيات ا . قال الزمخشري : جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على ا بما لا حجة عليه ، وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا : لو شاء ا ما أشركنا ولا آباؤنا ، وقالوا : وا أمرنا بها ، وقالوا : الملائكة بنات ا وهؤلاء شفعاؤنا عند ا ونسبوا إليه تحريم السوائب والبحائر وكذبوا